http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد (1959) السنة الثامنة - الثلاثاء (9) تشرين الثاني 2010

قرارات من عصور مظلمة

علي حسين

كان الله في عون العراقيين، فقد ابتلوا بسياسيين يتحدثون باسم الشعب ويقيسون نبض الشعب.. والشعب مغلوب على أمره. يقولون ليل نهار إنهم يعرفون نبض الجماهير في عبارات فقدت معناها من سوء استخدامها وجرأة تزييفها، أفكار وآراء كثيرة يجري تسويقها في زحمة الصراع على المكاسب والامتيازات، يتحدثون باسم الشعب وفي الوقت نفسه يحجبون عن الشعب ثرواته، باسم الشعب يشرعون قوانين تمنحهم مزيدا من الثروات والامتيازات. إحدى أبرز مشاكل النخب السياسية في العراق، أنها تدعي العمل ليل نهار لإقامة الدولة المدنية، بينما تقوض في تصرفاتها العملية كل الأركان الواجب الحفاظ عليها لمثل هذه الدولة المدنية، ولدي نموذج صارخ على هذه الازدواجية التي تعاني منها بعض النخب السياسية، وتكاد تصل بها إلى حالة انفصام في الشخصية.

فقد تابعت، مثل غيري، على صفحات الصحف بعض القرارات التي يصدرها عدد من مجالس المحافظات كان اخرها القرار الذي اصدرته جهات متنفذة في محافظة البصرة بمنع السيرك القادم من فرنسا من اقامة فعالياته.

فقد اصدرت جهة نافذة قراراً مضحكاً يقول ان الارض تابعة للوقف الشيعي وبهذا لا يجوز ان تقام فعاليات غير دينية عليها، ولم افهم التبريرات التي ساقها السيد مدير الوقف الشيعي في البصرة حيث قال للزميلة الصباح"ان نصب خيمة السيرك كان مخالفة قانونية وشرعية كون نصبها تم بالتجاوز على الارض الوقفية العائدة للوقف الشيعي ونفى اعطاء اي موافقات رسمية وذلك كونها ارض وقف لا يمكن تأجيرها الا بشرط الواقف الى جانب مخالفتها للشريعة الاسلامية كونها مخالفة لشروط الجهة الواقفة، والادهى من هذا الكلام ما صرح به احد رجال الدين في البصرة من ان السيرك حرام ومخالف للشريعة الاسلامية ولا يجوز ان تتم مثل هذه الامور في المدينة وذهب رجل الدين اكثر من ذلك حين اصر على ان افتتاح فندق الشيراتون مخالف لقواعد الشريعة الاسلامية ولا ندري على اي نص ديني او شرعي استند رجل الدين في فتواه التي فاقت فتوى طاليبان.

يبدو ان البصرة التي عانت من ظلم صدام لعقود طويلة حين حولها الى ساحة من سوح معاركه (الباسلة)، لا يريد لها البعض ممن تولوا امور البلاد والعباد ان تتنفس هواء الحرية، وقبلها اصدر مجلس المحافظة الموقر قرارا بمنع بيع المشروبات الكحولية واغلاق النوادي والمحال حفاظا على قيم الاسلام التي رفعها قبلهم (الرئيس المؤمن) حين اطلق حملته الايمانية للرد على الهجمة الامبريالية التي يقودها عبيد الكومبيوتر، ويبدو اننا لا نزال نعيش اجواء الحملة الايمانية التي يصر العديد من السادة المسؤولين على اهميتها للمواطن وانها يمكن ان تعوضه عن انقطاع الكهرباء ونقص مواد البطاقة التموينية وانعدام الخدمات والاهم انها تحميه من شر المفخخات والاحزمة الناسفة التي عجزت الاجهزة الامنية عن الحد منها.

ويبدو ان العراقيين ابتلوا بتسلط اولي الامر منهم، فلعقود ماضية كان صدام يستخدم مصطلح خدمة الشعب، فإذا قتل الأبرياء، فهذا لمصلحة الشعب ومن أجله، وإذا ظلم، فهذا باسم الشعب ومن أجله، فالظلم عنده هو قمة العدل، فنامت الناس على ظلم مستديم، ولم يتبين للحرية أي خيط من نور. كان صدام ونظامه يختزل الشعب في هيئته، فهو وحده الذي يحس بنبض الناس، ووصل الغرور بصدام الى حد جعله لا يعرف ما إذا كانت الجماهير تسير خلفه لتهتف بحياته أم تتمنى رميه بالحجارة، اختلطت عليه الأصوات واهتز طرباً للصخب والضجيج..

في ايامنا هذه انتقلت (خدمة الشعب) والسهر على مصالحهم إلى بعض الساسة الجدد فتسمعهم ليل نهار يتغنون بكلمة اسمها الشعب، وان العناية الالهية اوكلت اليهم امر هذا الشعب ففي كل كلمة من كلامهم تقفز مفردة.

الشعب يريد التغيير .. الشعب يؤمن بقرارات مجالسه المحلية، الشعب يريد حكومة تقول له افعل هذا ولا تفعل ذاك، الشعب يبحث عن مسؤولين يأخذون بيده ينيرون له طريق الحقيقة، واصبحنا ننام ونصحو على كلمة الشعب وماذا يريد الشعب،.

يتحدثون عن الشعب، والشعب منهم براء، ماذا يريد الشعب؟ ما هي همومه ومشاغله وقضاياه وآلامه؟.. هل الشعب مشغول فعلاً بمعرفة اسم (محرم) عضوات مجلس محافظة واسط، ام هل في تجارة الحشيش وسرقة المال العام والرشوة التي انتشرت ولم تجد احد يصدر امراً شرعياً بتحريمها وكشف المتورطين فيها.

لماذا انتقلت أمراض العقود الماضية إلى الساسة الجدد وكيف عرفوا أنهم لسان حال الشعب ونبض الشعب وعقل الشعب وضمير الشعب؟

ايها السادة قبل أن تتحدثوا بلسان الشعب، لابد أن تستمعوا للشعب، ولا يتحقق ذلك إلا بالنزول إلى الناس في الشوارع والقرى والنواحي وفي المناطق التي اصابها زلزال الارهاب، هناك فقط ستسمعون صوت الشعب.

اما الشعب الذي تتحدثون عنه فهو شعب من كوكب آخر، تفترضون أنه لا ينام الليل من أجل تطبيق شعارات حملتكم الايمانية. هل الشعب مشغول بالفتوى الظلامية التي تريد ان تطفئ وهج الحياة، ام بلقمة العيش التي تسرق منه كل يوم، هل الشعب مشغول بالتنمية وبتعبيد الطرق وبجلب الاستثمارات واعادة الحياة الى البصرة ثغر العراق ام مشغول بالنواح والعويل مثلما يريد له اولو الامر، ايها السادة ان الدين هو التسامح والالفة والرحمة والمحبة ولكم في سيرة امام المتقين علي بن ابي طالب اسوة حسنة ونموذجا لسماحة الدين الاسلامي ورقيه، اما فتوى طاليبان فهي ابعد ما تكون عن الدين.

السادة مجلس محافظة البصرة، ان هذه المدينة التي كانت على مر العصور ثغر العراق الباسم عليكم اليوم مسؤولية الحفاظ على وهج الحياة فيها واتمنى عليكم ان ترفعوا الاقنعة عن وجوهكم وتعرفوا ماذا يريد الشعب وتؤمنوا بأن العراقيين تجاوزوا سن الوصاية وهم احرار في دينهم ودنياهم والاهم ان تدركوا ان الشعب يحتاج التنمية والاستقرار.. الخبز والحرية.. والمسكن والعمل.. أما الشعب الذي تريدون خنقه بقرارات جائرة فقد خرج ولم يعد منذ ان القي القبض على"القائد الضرورة"في حفرة ضيقة.

خيبة أمل لدى الأهالي بعد أن أتى التشدد على أقل فرصة للترفيه

سيرك مونتي كارلو سينتقل إلى أربيل بعد أن ضاقت به البصرة

يقول مدير فرقة سيرك مونتي كارلو العالمية أن حكومة البصرة منعت فرقته من تقديم عروضها في المحافظة لأسباب وصفها بغير واقعية.

وقال غسان طه إن"محافظة البصرة قامت بتوجيه الجهات الامنية ودائرة البلدية لمنع الفرقة من تقديم عروض السيرك للمواطنين بعد عشرة ايام من عملنا في المدينة"، مستدركا"لا توجد مبررات واقعية لهذه الاجراءات من قبل المحافظة دون سابق انذار".

متابعة / المدى

واعتبر أن"القيام بهذه الاعمال تدل على أن الحكومة المحلية في البصرة لا ترغب في اقامة مثل هذه النشاطات الترفيهية لمواطنيها"، مبينا أن"هناك مشكلة مع الوقف الشيعي كون الارض التي اقيم عليها السيرك تعود ملكيتها له لكن هذه المشكلة يجري حلها في المحاكم المختصة ولم يصدر أي قرار بشأنها".

وأضاف أن"عروض الفرقة كان يجب أن تستمر لفترة اربعين يوما لكنها توقفت لهذه الاسباب"، موضحا أن"من ضمن الانشطة التي سعينا لاقامتها في البصرة اقامة عروض للدلافين ونشاطات ترفيهية اخرى، لكن سنقوم باقامتها في مناطق اخرى لعدم تعاون الحكومة المحلية".

من جانبه، قال سالم تقي المتحدث الرسمي باسم محافظ البصرة شلتاغ عبود المياح إن"اغلاق السيرك يأتي لكون الارض التي يقدم عليها عروضه تابعة للوقف الشيعي الذي اعترض على اقامة هذا المشروع في هذه الارض وتم تقديم شكوى من قبله في القضاء".

وأوضح تقي أن"الحكومة المحلية في البصرة تعمل على تجاوز هذه المعضلة من خلال ايجاد ارض بديل لتقدم الفرقة عروضها في المدينة".

وبين أن"قيام فرقة مونتي كارلو العالمية بتقديم عروض السيرك في البصرة يدل على أن الاوضاع في المحافظة طبيعية ويسودها الامان".

وباشرت فرقة مونتي كارلو العالمية تقديم عروض للسيرك في البصرة كان يفترض أن تستمر على مدى أربعين يوما، بحسب ما ذكره المشرف على العرض ميثم الأحمد رئيس مركز رجال الأعمال في البصرة.

وكان الأحمد: قال إن عروض الفرقة تشمل استعراضا للحيوانات والمشي على الحبال مع تقديم ألعاب الجمناستك وفصولا كوميدية فضلا عن الألعاب البهلوانية.

ولم يتوقع الاهالي أنهم سيشاهدون عروض السيرك، وقال احد المواطنين: "إن أطفالي يحزنون عند رؤية السيرك فقط على شاشات التلفزيون، ويبدأون بمطالبتي بأخذهم لرؤية الحيوانات على الطبيعة"، لكن الأمر تحقق فعلا بعد افتتاح سيرك مونتي كارلو عروضه في البصرة جنوب العراق، بعد انقطاع العروض عن هذه المدينة لفترة تجاوزت الـ٤٠ عاما.

المشهد كان بالقرب من ساحة الطيران وسط المدينة؛ فهناك خيمة زرقاء كبيرة وعدد كبير من أهالي المدينة وصل إلى أكثر من ١٥٠٠ شخص حضروا بغرض متابعة ألعاب السيرك، مع وجود سيارات للجيش والشرطة بالقرب من مكان الافتتاح حتى إن أغلب القادة الأمنيين حضروا هم وعوائلهم الحفل.

البداية كانت برقصات للبهلوانيين على أنغام الموسيقى الشرقية بمناظر غابت عن البصرة منذ سبعينات القرن الماضي، حيث كان هناك آخر حفلات السيرك في المدينة.

ويقول احد المسؤولين عن سيرك مونتي كارلو، سهيل عبيد، إن إدارة السيرك اختارت البصرة بعد مدينة أربيل، وفضلتها على بغداد لوجود محاذير أمنية، مبينا أن أغلب فرقته هم من جنسيات مختلفة، منها الألمانية والأوكرانية والروسية والكينية، وأن الألعاب التي قدمت هي عروض بهلوانية وألعاب مع حيوانات أليفة، وحتى الأفاعي كانت جزءا من العرض، وزاد: "بادئ الأمر كان أعضاء الفرقة خائفين، لكن بعد الوصول إلى المدينة وتجوالهم في أسواقها ذهب الخوف أدراج الرياح، والعروض ستستمر لفترة ٤٠ يوما".

الحاضرون، بحسب آرائهم استمتعوا بمشاهدة عروض السيرك، حيث تقول الطالبة رغد هاشم (١٦ سنة): إن العروض كانت ممتعة، وخصوصا أننا نشاهدها في البصرة للمرة الأولى، وتابعت: أتمنى أن تستمر العروض لفترة طويلة حتى تتمكن كل زميلاتي في المدرسة من مشاهدتها، كما أتمنى أن أحضر إلى أرض السيرك مرة أخرى.

أما أخوها، الطالب مهند هاشم (١٤ سنة)، فقال: حضرت عرض سيرك في سوريا قبل أشهر، لكنني للمرة الأولى أحضر في البصرة، لذا أعتقد بأن الفكرة جيدة، مشيرا إلى أن المتعة رافقتنا حتى نهاية العرض، لذا سأطلب من والدي الحضور مرات ومرات.

من جانبها بينت سناء أحمد (٢٦ سنة)، موظفة، أن السيرك كان ممتعا، وقد كسر الطوق أو الحاجز الذي كان يفصلنا عن التطور، وتابعت: إن الاستقرار الأمني النسبي الذي تشهده البصرة حاليا، وخصوصا بعد القضاء على أغلب الجماعات المسلحة في المدينة، جعلنا نستطيع الحضور إلى هذه الفعاليات، والدليل أن التي كانت تقدم فعالية الأفاعي كانت بملابس غير محتشمة من الأسفل؛ فلو كانت الميليشيات موجودة لاعتدوا عليها، وأغلقوا السيرك.

السيرك حاصل على جوائز كثيرة من مهرجان مونتي كارلو لفرق السيرك العالمية، لمشاركته في الكثير من العروض في عدد من دول العالم، وهو لا يمثل مدينة مونتي كارلو، لكنه يحمل اسمها فقط.

ويقول عضو السيرك ومقدم عروض الخفة النمساوي، يرداروس بورس إن أعضاء الفرقة قد شاهدوا مدى استمتاع أهالي البصرة بالعروض، كما استمتعنا نحن أعضاء السيرك بإسعاد الجمهور، وعن الأوضاع الأمنية في البصرة قال: إن الوضع ممتاز، ولا توجد خطورة كما كان يشاع في الأخبار.

فكرة السيرك جاءت إلى البصرة بعد دعوة قدمها عدد من رجال الأعمال البصريين إلى أعضاء فرقة سيرك مونتي كارلو، ونجحت حتى الآن في جذب المئات من المشاهدين، سواء من الكبار أو من أو الصغار، ومن الرجال والنساء على حد سواء.

لكن وبعد عشرة أيام من تقديم العروض، أعلنت إدارة سيرك مونتي كارلو عن وقف عروضهم التي يقدمونها لأبناء مدينة البصرة بعد قرار الحكومة المحلية بنقل الفعاليات إلى مكان آخر، استنادا إلى شكوى من ديوان الوقف الشيعي، بحجة أن الأخير يمتلك الأرض التي تقام عليها فعاليات السيرك، ولا يمكن استخدامها بطريقة مخالفة للشريعة الإسلامية، بحسب وجهة نظرهم.

وقال غسان طه محمد، أحد منظمي العرض في البصرة، إن الحكومة المحلية في المحافظة أصدرت قرارا بإخلاء الموقع الذي تقام عليه العروض في منطقة مناوي باشا وسط البصرة، وأن القرار استند إلى شكوى قدمها ديوان الوقف الشيعي، لكن إدارة السيرك لم تتلق أمرا قضائيا لإخلاء المكان، مضيفا أن «من واجب الحكومة المحلية في البصرة توجيه كتاب شكر للأجانب الذين على الرغم من كل ما سمعوه عن العراق وسوء الوضع الأمني، لكنهم ضحوا وغامروا بغرض إسعاد أهالي البصرة، وليس معاملتهم بالطرد من المدينة.

وعن المكان البديل الذي قد يحل فيه السيرك، أشار محمد إلى أن الحكومة المحلية لم تتكفل بإيجاد المكان البديل لنا وحتى أهالي المدينة الذين يمتلكون مساحات من الأراضي الفارغة التي من الممكن أن نستخدمها لإقامة العروض قرروا طلب إيجار منا بما يعادل عشرة أضعاف سعر الإيجار الحقيقي عند سماعهم خبر طردنا، وتابع أن الفرقة إذا لم تجد البديل فإنها سوف تعود لإقليم كردستان.

يشار إلى أن تلك الأرض يتم استغلالها بشكل مستمر من قبل الحكومة المحلية في البصرة، وكان آخرها إقامة ساحة تستخدم كمعرض لبيع السيارات للمواطنين بطريقة (البيع المباشر وبالتقسيط).

وكشف مصدر مقرب من ديوان محافظة البصرة، رفض الكشف عن هويته، في حديث لصحيفة الشرق الأوسط أن هناك ضغوطا مورست على المحافظة وديوان الوقف الشيعي تهدف لوقف عروض السرك في البصرة، وتابع المصدر أن شخصيات دينية وأحزابا إسلامية كانت تقوم بتلك الضغوط، ومنها من أصدر بيانات تندد بإقامة فعاليات السيرك على أرض تابعة للوقف الشيعي.

أما أهالي المدينة فإنهم أصيبوا بخيبة أمل بعد سماعهم الأنباء التي أشارت إلى توقف عروض السيرك، وقال أحمد إبراهيم، ٢٣ سنة، طالب جامعي، إن الأمر غريب، من جهة يقولون إن البصرة لا يوجد بها تقييد للحريات الشخصية، ومن جهة يمنعون الفعاليات الترفيهية.

خارطة طريق لتحريم الحياة

■ علي عبد السادة

حتى اللحظة احاول فهم احد السياسيين المنتمين الى حزب ديني حين قال مبررا اغلاق سيرك مونتي كارلو: "البصرة مدينة الادب والشعر، وليست لبقية الفنون، لذلك فأنها (المدينة) ليست بحاجة الى السيرك".

حقا، اجد صعوبة بالغة في الامساك بلغة هذا السياسي، كيف تمكن من صناعة هذه الجملة؟ كيف له ان يسطر لغة سليمة في جملة غير مفيدة؟ جملة تأويلها هو انها غير قابلة للتأويل والشك. انها صالحة فقط لكي لا تقال. لقد خبر هذا السياسي "العارف" صورة المشهد الثقافي في البصرة فرأى انه مجزأ مفكك تحمل واحتضن الشعر والادب، وعزل الموسيقى والنحت والمسرح والسينما.

اظن ان اهل البصرة انفسهم يشعرون، مع هذا الوصف، بالسخرية من سياسييهم الخبيرين بثقافة مدينتهم.

ان تكون البصرة مدينة للون ابداعي معين، ولا تكون لغيره، فذاك حكم يبعث على الاسى والضحك في آن. كيف يجزئ الساسة المشهد الثقافي على هذه الشاكلة الساذجة؟ وليس بوسعنا القول انه جاهل بمكونات المشهد الثقافي، بل انه خائف مذعور من الوانه وتعدد اشتغالاته.. مثل هؤلاء خائفون من "الجمال" ويجتهدون في صبغ البصرة الملونة بلون واحد.

لغة مثل هذه تنطوي بجدارة على ضيق صدر بالحريات العامة، ويصل الامر هنا، في حالة البصرة، الى محاولة غلق نافذة حية مطلة على الاخر بشمع الفتاوى الاحمر. انهم، بعد قرون من الحضارات والتماع الثقافات في بلد لا يحب الانطفاء، يصنعون مجتمعا احاديا يحرمون فيه الموسيقى والسيرك والفن التشكيلي والسينما والمسرح، وقد تفضلوا وتكرموا واباحوا الشعر والادب.

نعم هذا صحيح، ليست نكتة عراقية سوداء نسوقها لتخييل المأساة العراقية. انهم، بالفعل يفعلون ذلك، او على الاقل يخططون اليه.

مبرر الوقف الشيعي في المدينة حين "أمر" باغلاق سيرك مونتي كارلو هو ان مكان اقامة نشاطه الترفيهي البحت كان أرضا وقفية، وليس بمقدور سيرك ان يدبك بحيواناته عليه. وللحق نقول انه مبرر منطقي ويتحمل مثل هذا السند مجالا واسعا للحل: مثلا ان ينقل السيرك براقصي الحبال وحيوانات العرض الى مكان اخر. اليس ذلك يسيرا، ويعبر، بشكل او باخر، عن ان المدينة والقائمين عليها، منفتحة حية، وهي التي كانت ولم تزل بوابتنا على العالم وبوابة هذا الاخير علينا.

ام ان عولمة تجلب لنا الاخر في خيمة بسيطة وسط مدينة انهكها نقص الكهرباء واستفحال الفساد وفوضى الشوارع امر ينافي المبادئ والشرائع السماوية. كل ما يجري من كوارث في البصرة المسكينة ليس حراما، وبقي ان نحرم "بهجة" المظلومين بازمات جزء من ادامتها سياسيون يضيقون اليوم بسيرك لا حول له ولا قوة.

من فضح هدف المنع المخجل ذلك الذي حملته لافتات علقت على جدران شوارع المدينة: "الدخول الى السيرك حرام". ومقولة السياسي الاثيرة، وهي تتصدر مقولات اخرين يشاركونه الرأي والفكرة، تعكس، بشكل لا يحمل اللبس، ان الاحزاب الدينية تضيق ذرعا بالثقافة وأشكال الحياة العامة بالنسبة للعراقيين. انهم يميلون، بفعل زواية حشروا اعينهم فيها، الى مجتمع "واحدي" يقتل التعدد ويعدم اختلاف الميول امام العلن.

ولو افترضنا ان حديثا مدافعا عن الثقافة والوانها، وحماية الحريات العامة للناس، غير ذي اهمية في مجتمع تحرفه النخب الدينية عن المسار الطبيعي لتطور الحياة العراقية، فان ما تبقى لندافع عنه هو مستقبل المدينة نفسها؛ أذ كيف للحكومة المحلية ان تدعو الشركات الاجنبية القدوم الى البصرة والاستثمار على أرضها، بينما هي لا تتحمل سيركا بسيطا، كيف لهم ان يطالبوا بالدولة بموازنة من اجل تطوير قطاع السياحة، بينما هي لم تتحمل اجانب يصفقون لقردة سيرك. وكيف للبصرة ان تكون منفذاً عراقياً على العالم، بينما لا يستطيع العالم الدخول من زاوية سيرك ليس الا. كيف للبصرة ان يتحدث حكامها عن ازدهار المدينة وتطوير الخدمات وتعويض نقص الكهرباء والماء والخلاص من اثار العنف والميليشيات، ووقف نزف المال العام عبر مافيات الفساد، بينما هو يبذلون الحديث عن خيمة تجمع فيها البصريون ليبتهجوا ويزيحوا عن ظهورهم هم ساسة اغرقوهم في الازمات.

من الصعب بمكان تخيل غد مثالي يوفر مكانا لاحلامنا، من الصعب جدا ان نتصور حياة مدنية عصرية تحترم فيها عادات وميول الجميع على اختلاف معتقداتهم ورغباتهم، بينما يظهر لنا سياسي مثل هذا القائل بسلخ البصرة عن فنونها، وما بقي لديها سوى الشعر، وحتى هذا الاخير اشك في انه سيبقى على قيد الحرية لو فكر في الخروج عن قواعد ماسكي زمام المدينة المنهكة. ربما سيكتب شاعر قصيدة مشاكسة، فيتضح، في باب شرح منعها وحظرها، انها كتبت، او تخيلها الشاعر، او القيت، او سمعت على أرض وقفية.

منذ فضيحة منع الموسيقى من مهرجان بابل، وصولا الى تحريم دخول سيرك البصرة، اخاف من ان تصبح السينما وان يتحول المسرح والنحت الى مغامرة قاتلة في هذه البلاد. واخشى ان تتحجب ثقافتنا فننزوي في غياهب العالم الثالث، وينسى عشاق فننا واشتغالنا الابداعي اننا هنا في بلد اسمه العراق، اخشى ان نتحجر، او نتجمد برسم لافتة تحريم على دار عرض للازياء، او بازار للكتب، دون شك هذا رسم توضيحي لطريقة موتنا وتلاشينا من خارطة الحياة.

اوقفوا قتلنا بالفتاوى!